البـــاب الأول

الأسباب العامة لاختلاف المفسرين

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: اختلاف القراءات ومقاييس قبولها.

الفصل الثاني: المباحث اللغوية والبيانية.

الفصل الثالث: دعاوى النسخ والاختلاف فيها.

الفصل الرابع: مواقف المفسرين من قضية العقل وفهم المتشابه.

الفصل الأول

القراءات: اختلافها، ومقاييس قبولها

القراءات: جمع قراءة، والقراءة، مصدر [قرأ] الثلاثي كالقرء ـ بفتح القاف[1] وسكون الراء ـ في اللغة: الجمع والضم. وسميت القراءة قراءة لضم الحروف بعضها مع بعض ونطقها مجتمعة.

أما في الإصطلاح؛ فقيل أنها «اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتابة الحروف أو كيفية النطق بها، من تخفيف وتثقيل وغيرهما»[2]. كزيادة حرف أوحذفه، أو إبداله. وقيل أنها «مذهب يذهب إليه أحد أئمة القراء بالنطق بحروف القرآن الكريم، أو هيئاتها مخالفاً بها غيره»[3]. ويقول الإمام ابن الجزري[4]: في ضابط القراءة

---

(١) انظر: ١/ ٢٥ القاموس المحيط، وص ٤٠٢ من المفردات للراغب الأصفهاني.

(٢) ١/ ٣١٨ البرهان في علوم القرآن.

(٣) ١/ ٤٠٥ مناهل العرفان.

(٤) هو المقرئ الحافظ محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن الجزري الشافعي، ولد بدمشق سنة ٧٥١هـ، وحفظ القرآن وهو صغير، وطلب القراءات حتى صار فيها علماً، ثم أخذ يقرئ الناس. تولى القضاء بالشام، وتوفي بها سنة ٨٣٣هـ وعمره ٨٢ سنة.

انظر السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ٣٧٦، وابن العماد: شذرات الذهب ٧/ ٢٠٤.

الصحيحة والمعتبرة؛ إنها: «كل قراءة وافقت العربية، ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها»[١] فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها.

فالتعريف الأول للقراءة: ينحصر في الاختلاف في ألفاظ القرآن، وكيفية النطق بها.

والتعريف الثاني: ينصب على اختيار أحد القراء النطق بحروف القرآن على صفةٍ يخالفه غيره فيها.

وهذان التعريفان قاصران على شكل القراءة وهيئتها. وزيد في التعريف الثاني: ترجيح أحد اللفظين على الآخر عند أحد القراء.

أما التعريف الثالث: فهو أدق وأجمع من سابقيه، فإن قيد القراءة إذا وافقت اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه يشمل ما دل عليه التعريفان الأولان في بيان نطق الحروف وهيئتها، وقيد موافقة القراءة الصحيحة لأحد المصاحف العثمانية ـ ولو احتمالاً ـ يفيد معنىً زائداً على لفظ (كتابة الحروف) في التعريف الأول؛ وهو موافقة القراءة لشكل المصحف الذي جمعه عثمان ـ رضي الله عنه ـ وأجمع عليه الصحابة ومن بعدهم، كما أن التعريف نص على اعتبار صحة السند لقبول القراءة، وهذا القيد لم يذكر في التعريفين السابقين. فتبين أن التعريفين السابقين عامان يشملان جميع أنواع القراءة؛ أما التعريف الثالث، فهو خاص بالقراءة الصحيحة المعتبرة.

ولهذا فأركان القراءة الصحيحة إذاً ثلاثة، هي:

١ ـ أن يصح سندها عن الرسول ﷺ.

---

(١) ١/٩ النشر في القراءات العشر، وانظر: ص ١٧١ من المرشد الوجيز.

٢ ـ أن توافق اللغة العربية ولو بوجه واحد.

٣ ـ أن توافق المصحف العثماني، ولو احتمالاً.

فكل قراءة لم يصح سندها عن النبي ﷺ لا يصح القراءة بها، أو العمل بمقتضاها، لأنه تقول على الله ورسوله ﷺ بغير علم.

ومعنى موافقتها لأحد المصاحف العثمانية الستة التي أرسلها عثمان إلى الأقطار: أن توافق ما كان ثابتاً ولو بواحدٍ منها، كقراءة قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ...﴾ الآية[١]. في البقرة بغير (واو)، وقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ...﴾ الآية[٢]. بحذف (الواو) أيضاً، وقوله تعالى: ﴿... جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ...﴾ الآية[٣]. بزيادة حرف الجر (من).

ومعنى موافقتها أحد المصاحف ـ ولو احتمالاً ـ: أن توافق الرسم ولو تقديراً، نحو قراءة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾. ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ بالصاد المبدلة عن السين التي هي الأصل لتكون القراءة بالسين، وإن خالفت الرسم من وجه، فقد وافقت الأصل للرسم؛ ولذلك وقع الخلاف[٤] في قراءة (بصطة) في قوله تعالى: ﴿.. وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ...﴾ الآية[٥]. هل تقرأ بالسين أو بالصاد؟ ولو كتبت بالسين لعدت قراءة الصاد مخالفةً لرسم القرآن، ولم يقع الخلاف في قراءة (بسطة) في قوله تعالى: ﴿... وَزَادَهُۥ

(١) الآية: ١١٦ من سورة البقرة.

(٢) الآية: ١٣٣ من سورة آل عمران.

(٣) الآية: ٧٢ من سورة التوبة.

(٤) انظر: النشر في القراءات العشر ١/ ١٢.

(٥) الآية: ٦٩ من سورة الأعراف.

بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ . . .﴾ الآية[١]. لأنها كتبت بالسين، وهي الأصل؛ ولا بد للقراءة المعتبرة مع صحة سندها أن توافق اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه. يقول ابن الجزري: لا بد من موافقتها وجهاً من وجوه النحو سواءً كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله إذا كانت القراءة مما شاع وذاع، وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح؛ إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم، وهذا هو المختار عند المحققين في ركن موافقة العربية. فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثيرٌ منهم، ولم يعتبر إنكارهم[٢]. كخفض، ﴿وَٱلْأَرْحَامِ﴾ في قوله تعالى: ﴿. . .وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامِ . . .﴾ الآية[٣]. وإسكان الهمزة التي بعد السين وصلاً ووقفاً في قوله تعالى: ﴿. . . وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ . . .﴾ الآية[٤].

وعلى ذلك يكون ما روي في قراءات القرآن ثلاثة أقسام لكل واحد منها حكم:

الأول: ما اجتمع فيه ثلاثة شروط، وهي: صحة السند، وموافقة العربية، وخط المصحف، فيقطع بقرآنيته وكفر منكره.

الثاني: ما صح سنده ووافق العربية وخالف خط المصحف العثماني، فلا يقرأ به، وإنما يعمل به لأنه سنةٌ وليس بقرآن، نحو: قراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات)[٥]، فهل يشترط التتابع

(١) الآية: ٢٤٧ من سورة البقرة.
(٢) النشر في القراءات العشر ١/ ١٠.
(٣) الآية: ١ من سورة النساء.
(٤) الآية: ٤٣ من سورة فاطر.
(٥) انظر: تفسير الطبري ١٠/ ٥٥٩ تحقيق: شاكر.

في الصيام في كفارة اليمين أو لا؟ قولان للعلماء، ولا تجوز القراءة بما روي عن ابن مسعود، لأنها مخالفة لما في المصحف، ولم يقطع بقرآنيتها، فلا يجوز أن ندخل في كتاب الله ما ليس منه.

الثالث: ما لم يصح سنده، فهذا لا يقبل، ولو وافق العربية وخط المصحف مثل قراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ الآية[١]. قرأ ﴿ننحيك﴾ بالحاء المهملة، وفتح اللام من ﴿خَلْفَكَ﴾، وكالقراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة[٢] في قوله تعالى: ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ...﴾ الآية[٣]. برفع اسم الجلالة، ونصب ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا﴾[٤].

منشأ الخلاف في القراءة:

يرجع الخلاف في القراءة إلى نزول القرآن على سبعة أحرف، وإقراء الرسول ﷺ الصحابة بها. فقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: (أقرأني جبريل عليه السلام على حرف واحدٍ، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف)[٥].

---

(١) الآية: ٩٢ من سورة يونس.

(٢) الإمام أبو حنيفة النعمان، أحد الأئمة الأربعة، أصله من فارس، لقي بعض الصحابة، ولم تثبت له رواية عن واحد منهم، ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ، وعرض عليه القضاء أكثر من مرة، فامتنع، كان فقيهاً قوي الحجة متقد الذكاء، قال فيه مالك بن أنس: رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً، لقام بحجته. توفي سنة ١٥٠هـ.
انظر البغدادي: تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣، والذهبي: تذكرة الحفاظ ١/١٠٨.

(٣) الآية: ٢٨ من سورة فاطر.

(٤) انظر النشر: ١/١٦.

(٥) ٦/١٠ صحيح البخاري، ٢/٢٠٢ صحيح مسلم.

وروى الشيخان ـ أيضاً ـ عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: (سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت. إن رسول الله ﷺ قد أقرأني على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ لعمر: أرسله. فأرسله عمر، فقال لهشام: اقرأ يا هشام: فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه)[1]. هذا لفظ البخاري، وزاد مسلم: قال ابن شهاب[2]: بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي الأمر الذي يكون واحداً، لا يختلف في حلال ولا حرام. وفي صحيح مسلم[3] ـ أيضاً ـ عن أبي بن كعب[4] قال: كنت في المسجد

(١) ٩/ ٢٣ من البخاري بشرح العسقلاني، ٦/ ١٠١ من صحيح مسلم بشرح النووي.

(٢) هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري الفقيه العالم الورع، من أعلام التابعين، ولد سنة ٥٠هـ، كان ثقة كثير الرواية عالماً بالحلال والحرام، قوي الحافظة، يقول عن نفسه: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١٢٤هـ وعمره ٧٢ سنة.

انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٩/ ٤٤٥، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٦٢.

(٣) هو الإمام الحافظ الحجة أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صاحب الصحيح، ولد سنة ٢٠٤هـ، له مصنفات كثيرة، ذكرها الذهبي مستوفاة، توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٢٦١هـ، وعمره ٥٧ سنة.

انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٥٨٩، وابن العماد ٢/ ١٤٤.

(٤) أبو المنذر إمام القراء أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي، أخذ القراءة عن=

فدخل رجل فقرأ قراءةً أنكرتها عليه، ثم دخل آخر: فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ، فقلت: إن هذا قرأ قراءةً أنكرتها عليه، ودخل آخر، فقرأ سوى قراءة صاحبه، فأمرهما رسول الله ﷺ، فقرءا، فحسن النبي ﷺ شأنهما، فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية، فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقاً، وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً، فقال: يا أُبَيّ: إن ربي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إليّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي، فرد إلي الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها، فقلت: اللهم اغفر لأمتي، اللهم اغفر لأمتي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم ﷺ، وأخرج مسلم[1]، والإمام أحمد في مسنده عن أبي ـ أيضاً ـ أنه قال: (إن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءني الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك

= رسول الله ﷺ، وحدث عنه أبو هريرة، وابن عباس، قال فيه عمر بن الخطاب ـ لما مات ـ: اليوم مات سيد المسلمين توفي بالمدينة سنة ١٩هـ.

انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/ ٣٢، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٣١.

(١) ٦/ ١٠٣ من صحيح مسلم بشرح النووي، ٥/ ١٢٧ من مسند الإمام أحمد.

القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه، فقد أصابوا).

وتدل هذه الأحاديث على ما يلي:

١ ـ أن القرآن أنزل على سبعة أحرفٍ كلها شافٍ كافٍ، ولو نزل بحرفٍ واحدٍ لشق على العرب لتعدد قبائلها وانتشار لهجاتها، ولتعذر عليهم فهم القرآن بدليل سؤال الرسول ﷺ ربه التخفيف أكثر من مرة، لأن أمته لا تطيق ذلك.

٢ ـ وهذا اليسر والسهولة ورفع الحرج، إنما هو في الألفاظ دون تضارب في الأحكام بدليل تصويب الرسول ﷺ عمر بن الخطاب، وهشام بن حكيم[١]، مع أن قراءة كل منهما تغاير قراءة صاحبه، فتعين أن التعدد في اللفظ دون المعنى.

٣ ـ الأحرف السبعة كلها قرآنٌ متعبدٌ بتلاوته، منزلٌ من عند الله، والأمة مخيرة بأن تقرأ بأي حرفٍ منها من غير إلزام بواحدٍ بعينه، بدليل قوله ﷺ: (أيما حرف قرأوا به أصابوا)[٢]. وقوله في حديث عمر: (فاقرأوا ما تيسر منه)[٣].

(١) اسمه: هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد الأسدي، وأمه أخت الزبير بن العوام، أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، روى عنه جبير بن يعز، وعروة بن الزبير، وقتادة، وكان كثير العبادة كثير الأسفار لطلب العلم، ومات قبل أبيه.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٧.

(٢)(٣) سبق تخريجهما.

ما هي الأحرف السبعة؟

حديث نزول القرآن على سبعة أحرفٍ من الأحاديث المتواترة في المعنى، رواه أكثر من عشرين صحابياً، منهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وحذيفة بن اليمان[١]، وأبي بن كعب، وهشام بن حكيم، وابن عباس، وابن عمر، وأبو هريرة، وقد اختلفت آراء العلماء في المراد بالحروف، وكثرت أقوالهم في تفسيرها حتى وصلت أربعين قولاً ذكرها السيوطي في الإتقان[٢]. مما جعل بعضهم يعده مشكلاً، ويتوقف عن طلب المراد منه، ومن أشهر هذه الأقوال، ما يأتي:

القول الأول:

أن الأحرف سبع لغاتٍ من لغات العرب، متفرقةً في القرآن الكريم، قال أبو عبيد القاسم بن سلام[٣]: قوله سبعة أحرف، يعني:

---

(١) اسمه حذيفة بن حسيل العبسي. واليمان: لقب لأبيه، لأنه حالف اليمانية، كان صاحب رسول الله ﷺ، واستعمله عمر بن الخطاب على المدائن، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ٣٦هـ.

انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٢/٢١٩، والإصابة ١/٣١٧.

(٢) انظر: ١/٤٥ من كتاب الإتقان.

(٣) هو الإمام المجتهد أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي اللغوي الفقيه، سمع الحديث=

سبع لغات من لغات العرب، وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه، هذا لم نسمع به قط، ولكن نقول: هذه اللغات السبع متفرقةً في القرآن، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة هوازن، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة أهل اليمن، وكذلك سائر اللغات ومعانيها في هذا كله واحدة، ومما يبين ذلك قول ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ إني سمعت القراء (جمع قارئ) فوجدتهم متقاربين، فاقرأوا كما علمتم، إنما هو كقول أحدكم. هلم. تعال[1]. ونقل الزركشي كلام[2] ابن مسعود بلفظ: قال سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، اقرأوا كما علمتم وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم. تعال. وأقبل. والقرآن الكريم إنما نزل بلغة قريش، ثم أباح للعرب المخاطبين ـ وقت التنزيل ـ أن يقرأوه بلغتهم؛ ولو اختلف اللفظ والإعراب، ولم يكلفهم الانتقال من لغة إلى أخرى لما فيه من المشقة والعنت؛ لا سيما وأن العربي يتعصب للغته التي يتخاطب بها، وربما أخذته الحمية. وقد جاء في القرآن ألفاظٌ مخالفةٌ لألفاظ المصحف المجمع عليه[3] كالصوف، وهو (العهن) وزقيه، وهي (الصيحة) وحططنا، وهي (وضعنا)، وحطب جهنم، وهي (حصب

= من شريك وهشيم، وابن عيينة، وأخذ عنه الدارمي، وابن أبي الدنيا، ولد بمدينة (هراة) كان عالماً فاضلاً ثقة ثبتاً إماماً في القراءات والحديث واللغة، قال فيه إسحاق بن راهويه: نحن نحتاج إلى أبي عبيد، وهو لا يحتاج إلينا، وقال فيه الإمام أحمد: يزداد كل يوم خيراً، توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ. من تصانيفه: كتاب الأموال، الناسخ والمنسوخ.
انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/٤١٧.

(١) ٣/١٥٩ غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام.

(٢) ١/٢١٦ البرهان في علوم القرآن.

(٣) هكذا: عند أبي شامة، ولعل الصواب: مخالفة لألفاظ المصحف الذي يقرأ به جمهور الصحابة مع اتحاد المعنى.

جهنم) ونحو ذلك. فقبض رسول الله ﷺ وكل رجل متمسك بما أجازه له ﷺ، وإن كان مخالفاً لقراءة صاحبه في اللفظ[١].

القول الثاني[٢]:

أنه لا مفهوم للعدد، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ . . .﴾ الآية[٣]. وقوله: ﴿. . . إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ . . .﴾[٤]. وإنما المراد به التيسير والسهولة والسعة، لأن القرآن نزل على أمةٍ أميةٍ لا تعرف الدرس ولا التكرار، مع تقدمهم في السن، واشتغالهم بالجهاد وطلب المعاش، وستأتي مناقشته.

القول الثالث:

وذهب إليه ابن قتيبة[٥] والباقلاني[٦]، وابن الجزري: أنها وجوهٌ

---

(١) ص ٩٥ المرشد الوجيز.

(٢) هكذا يعده الباحثون في علوم القرآن ممن اطلعت على كتبهم، والحقيقة: أنه ليس قولاً تفسر به الحروف، وإنما هو في الخلاف في العدد هل له مفهوم أو لا؟

(٣) الآية ٢٦١ من سورة البقرة.

(٤) الآية: ٨٠ من سورة التوبة.

(٥) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب والتاريخ. له عدة مصنفات. ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ، ومن أحسن كتبه: تأويل مختلف الحديث، وعيون الأخبار. أنصفه الإمام الذهبي لما قال فيه: أحد أوعية العلم، قليل العمل بالحديث، ولعله ـ لهذا ـ لم يذكره في تذكرة الحفاظ، مات فجأة ببغداد سنة ٢٧٦هـ وعمر ٦٣ سنة.
انظر ابن حجر: لسان الميزان ٣/٣٥٧، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/١٦٩.

(٦) أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني الأشعري المتكلم، ولد بالبصرة سنة ٣٣٨هـ، وسكن بغداد، وأرسله عضد الدولة سفيراً له إلى ملك الروم، فكانت له مناظرات مع علماء النصرانية، كتب عدة مصنفات، أشهرها: إعجاز القرآن، وتوفي سنة ٤٠٣هـ. =

سبعة[١]، استخرجت من القراءات المشهورة على النحو التالي:

١ ـ ما تتغير حركته، ولا يزول معناه وصورته، مثل: ﴿...هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[٢] و ﴿أظهر لكم﴾.

٢ ـ ما يتغير معناه ويزول بالإعراب، ولا تتغير صورته، مثل: ﴿...رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ الآية[٣]. و ﴿ربُّنا باعَدَ بين أسفارنا﴾.

٣ ـ ما يتغير معناه باختلاف الحروف واختلافها باللفظ، ولا تتغير صورته بالخط، مثل: ﴿...وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ...﴾ الآية[٤].

٤ ـ ومنها ما تتغير صورته، ولا يتغير معناه، مثل: ﴿...كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾[٥] و ﴿كالصوف المنفوش﴾.

٥ ـ ومنها ما تتغير صورته ومعناه، مثل: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾[٦] و ﴿طلع منضود﴾.

٦ ـ التقديم والتأخير، مثل: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ...﴾ الآية[٧]. و ﴿وجاء سكرة الحق بالموت﴾.

= انظر البغدادي: تاريخ بغداد ٣٧٩/٥، وابن العماد: شذرات الذهب ١٦٨/٣.

(١) ص ١١٣ المرشد الوجيز. وانظر: ٢٦/١ النشر في القراءات العشر.

(٢) الآية: ٧٨ من سورة هود.

(٣) الآية: ١٩ من سورة سبأ.

(٤) الآية: ٢٥٩ من سورة البقرة.

(٥) الآية: ٥ من سورة القارعة.

(٦) الآية: ٢٩ من سورة الواقعة.

(٧) الآية: ١٩ من سورة ق.

٧ ـ ومنها الزيادة والنقصان، نحو: ﴿. . .تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ﴾ الآية[١]. و ﴿تسع وتسعون نعجة أنثى﴾. ﴿. . .وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٢]. بقراءة أهل الكوفة والبصرة، وسقطت كلمة (هو) في قراءة أهل المدينة والشام من مصاحفهم.

القول الرابع:

الأحرف السبعة، هي: الأمر والنهي والحلال والحرام والمحكم والمتشابه والأمثال. وحجة القائلين بهذا: حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: (كان الكتاب الأول نزل من بابٍ واحدٍ على حرفٍ واحدٍ، ونزل القرآن على سبعة أبوابٍ على سبعة أحرفٍ: زاجر، وآمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[٣]).

القول الخامس:

أن الحديث مشكل لا يُدرى معناه، لأن الحرف يصدق لغة على

---

(١) الآية: ٢٣ من سورة ص.

(٢) الآية: ٢٤ من سورة الحديد.

(٣) رواه ابن جرير ١/ ٣٠ من تفسير جامع البيان. وهذا الحديث ضعيف الإسناد، قال ابن عبد البر: هذا حديث مجمع على ضعفه من جهة إسناده، وقد رده قوم من أهل النظر. قلت: وهذا الحديث في سنده سلمة بن أبي سلمة عن عبد الله بن مسعود. وأبو سلمة تابعي لم يدرك ابن مسعود، لأنه توفي سنة ١٠٤هـ عن ٧٢ سنة، وقد ولد بالسنة التي توفي فيها ابن مسعود، وعبد الله بن مسعود توفي سنة ٣٢هـ أو ٣٣هـ، فتكون الرواية عنه من المحال؛ أما ابنه سلمة فضعيف لا يحتج به. انظر: لسان الميزان ٣/ ٦٨، والمرشد الوجيز ص ١٠٧، والإصابة ٢/ ٣٦٩.

حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى الجهة[١].

مناقشة الأقوال:

القول بأن العدد لا مفهوم له قولٌ غير صحيح لأنه لم يجئ مرةً واحدةً فقط، فيجري مجرى الأمثال، وإنما حصل به محاورة بين الرسول ﷺ وربه، يستزيده حرفاً بعد آخر، وأيضاً: لفظ (سبعة) ليس من ألفاظ العقود التي تجري ـ عادة ـ مجرى المثل عند العرب.

والقول بأن الحديث لا يعرف معناه ليس قولاً في حقيقة الأمر، لأن الساكت لا ينسب إليه قول، وإطلاق الحرف لغةً على أكثر من معنى، هو أسلوب العرب الفصحاء، ويعرف التمييز بينها من السياق، ونزل القرآن بما يعرفون، وعلى فرض أنه قول فهو غير سديد، إذ كيف يتعبدنا الله بهذه الأحرف ونحن لا نعرف معناها؟ والحق أنا ندرك معناها، وإن أشكل عند قوم فهو واضحٌ عند آخرين.

أما القول بأن الأحرف السبعة هي الأمر والنهي والحلال والحرام... إلخ فهو قول ضعيف لا يعتد به، فحديث ابن مسعود فيه أبو سلمة[٢] بن عبد الرحمن بن عوف، ولم يلق ابن مسعود، وابنه سلمة ليس ممن يحتج به[٣].

---

(١) السيوطي: الإتقان ١/ ٤٥.

(٢) هو الحافظ أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، اسمه كنيته، وقيل: اسمه إسماعيل، وقيل: اسمه عبد الله، وهو الأصح، روى عن عثمان بن عفان، وعائشة، وأبي هريرة، وروى عنه سالم، والزهري، ويحيى بن سعيد القطان. توفي سنة ٩٤هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٦٣، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٠٥.

(٣) انظر: ٣/ ٦٨ من لسان الميزان.

وأما القول بأن الأحرف في صورة التقديم والتأخير والزيادة والنقصان؛ وهو ما ذهب إليه الباقلاني، وابن قتيبة، وابن الجزري، فهو قول بعيد متكلف، فالقرآن نزل على العرب الأميين الذين لا يعرفون الكتابة ولا الرسم، وإنما كانوا أهل بيان وفصاحة بالفطرة والسليقة، فيدركون الألفاظ بجرسها، ويميزون بينها بمخارجها؛ فلا يميزون بين الزاي والسين والصاد والضاد؛ إلا في النطق عندها.

والراجح ـ والله أعلم ـ أن المراد بسبعة أحرف سبع لغاتٍ توقيفيةٍ مفرقةً في القرآن، كان الصحابة يقرأون بها في أول الأمر، ثم أجمعوا على مصحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ. يقول الإمام البغوي[1]: وليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء فيما يوافق لغته من غير توقيف؛ بل كل هذه الحروف منصوصةً، وكلها كلام الله نزل به الروح الأمين على الرسول ﷺ، يدل عليه قوله ﷺ: (إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف)، فجعل الأحرف كلها منزلةً، وكان رسول الله ﷺ يعارض جبريل في كل رمضان بما يجتمع عنده من القرآن، فيحدث الله فيه ما شاء، وينسخ ما يشاء، وكان يعرض عليه في كل عرضةٍ وجهاً من الوجوه التي أباح الله له أن يقرأ القرآن بها، وكان الأمر على هذا أثناء حياة رسول الله ﷺ، وبعده كانوا يقرأون بالقراءة التي أقرأهم رسول الله ﷺ، ولقنهم إياها بأمر الله عز وجل، إلى أن وقع الاختلاف بين القراء في زمن عثمان، واشتد الأمر فيهم، وأظهر بعضهم إكفار بعض، والبراءة منه، وخافوا الفرقة،

---

(١) الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز المرزبان البغوي البغدادي، ولد في رمضان سنة ٢١٤هـ، كان محدث العراق في عصره، له تفسير: معالم التنزيل، توفي سنة ٣١٧هـ.

انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٣٧، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٢٧٥.

فاستشار عثمان الصحابة في ذلك، فأجمعوا على مصحفٍ واحد، هو آخر العرضة من رسول الله ﷺ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف، وجمع القوم عليه، وأمر بتحريق ما سواه قطعاً لردود الخلاف، فكان ما يخالف الخط المتفق عليه في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع منه باتفاق الصحابة، أما القراءة باللغات المختلفة فيما يوافق الخط والكتابة، فالفسحة فيه، والتوسعة قائمة بعد ثبوتها وصحتها بنقل العدول عن الرسول ﷺ على ما قرأ به القراء المعروفون بالنقل الصحيح عن الصحابة[1].

(١) ٤/ ١١ من شرح السنة. وقوله: «أنه كان يعارضه جبريل في كل مرة بوجه من الوجوه» لم أجد أحداً من العلماء ذكره، وقوله: أجمعوا على مصحف واحد هو آخر العرضات. يقتضي أن الأحرف السبعة هي الوجوه، وقد أبطل ستة منها، وبقي واحد فقط.

جمع القرآن، وتدوين القراءات

كان الصحابة في عهد النبوة وتنزل الوحي إذا اختلفوا في قراءة آية عرضوها على الرسول ﷺ فبينها لهم، ولما كانت خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقتل من القراء سبعون شهيداً في وقعة اليمامة[١] خشي عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن يضيع القرآن بموت حملته، فجاء إلى أبي بكر يراوده في جمعه، ولم يزل به حتى شرح الله صدره للذي دعاه إليه عمر، فدعا أبو بكر زيد بن ثابت الأنصاري وقال له: إنك شابٌ عاقلٌ لا نتهمك، وكنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن من صدور الرجال، فقال: فوالله لو كلفني بحمل جبلٍ، لكان أخف علي مما أمرني به، فجعلت أجمع القرآن من العسب والرقاع وصدور الرجال حتى وجدت آخر آية من التوبة مع رجل يقال له أبو خزيمة[٢] الأنصاري، وفي بعض الروايات أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال لعمر بن الخطاب، وزيد بن

(١) انظر: ٨/ ٣٤٤ من البخاري بشرح العسقلاني، وانظر: ص ٤٨ من المرشد الوجيز.

(٢) اسمه عمرو بن خزيمة المدني، روى عن عمارة المدني، وروى عنه هشام بن عروة، وجد عنده زيد بن ثابت ـ عند جمع القرآن ـ آية التوبة، أما آية الأحزاب، فوجدوها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٨/ ٢٨.

ثابت: اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله تعالى فاكتباه، وفي بعض الروايات أن عثمان بن عفان سأل الصحابة: أي الناس أفصح؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال: وأي الناس أكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت[١]، قال: فليكتب زيد، وليمل سعيد.

ولما كانت خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ وفتحت الأمصار، وتفرق الصحابة فيها، كان كل واحدٍ منهم يقرأ بما لم يقرأ به الآخر، ويخطئ صاحبه، وكاد أن يصل بهم النزاع إلى الاقتتال، فلما رأى ذلك حذيفة بن اليمان ـ وكان غازياً بأرمينية ـ جاء إلى عثمان، وقد أفزعه اختلاف الناس في القرآن، فقال: يا أمير المؤمنين: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، كما اختلفت اليهود والنصارى، فأخذ عثمان الصحف التي عند أم المؤمنين حفصة، والتي سبق أن جمعت في عهد أبي بكر الصديق، وأمر بمراجعتها، وتحقيقها، ودعا عبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص[٢]، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام[٣]، وزيد بن ثابت الأنصاري، وأمّره

---

(١) أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان الخزرجي الأنصاري، أسلم وهو صغير، وتعلم خط اليهود، فكان يقرأ بالعبرية وهو أحد كتاب الوحي، وأعلم الناس بالفرائض. أول ما شهد غزوة الخندق، تولى جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعثمان بن عفان، توفي سنة ٤٥هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٠، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٥٤.

(٢) أبو عثمان سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، أحد أشراف قريش. روى عن رسول الله ﷺ، وعمر، وعثمان، وعلي، وروى عنه ابناه: عمر، ويحيى، وعروة بن الزبير. وهو أحد كتاب المصحف في عهد عثمان، استعمله الخليفة عثمان على الكوفة، توفي سنة ٥٩هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٤/ ٤٨، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٦٥.

(٣) أبو محمد عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن=

عليهم؛ ولعل سبب تأميره عليهم ـ مع أنهم قرشيون ـ وهو أنصاري؛ هو أنه أكتبهم، وهو الذي كتب الصحف في عهد أبي بكر، وقد قرأ على رسول الله ﷺ القرآن مرتين في العام الذي توفي فيه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيءٍ فاكتبوه بلسان قريش، فإنه نزل بلسانهم، فراحوا يجمعونه من صدور الرجال والعسب والألواح، وأمرهم بنقل ما صح وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ في العرضة الأخيرة بين جبريل والرسول ﷺ، وأرسل خمسة مصاحف إلى مكة والكوفة والبصرة والشام واليمن، واحتفظ لنفسه بالمدينة بمصحف سمي ـ بعد ذلك ـ المصحف الإمام، ثم أخذ أهل كل مصر ما في مصحفهم، وتلقوه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ، ثم لقنه هؤلاء من جاء بعدهم ـ بعد ذلك ـ فبرز منهم مبرزون عرفوا بالقراء، وأجمع أهل كل مصر على قبول قراءتهم وصحة روايتهم، ومن هنا نشأ علم القراءات، وبقيت الحال على هذا إلى أن كثر القراء، وتفرقوا وانتشروا في الآفاق. وظهر بسبب ذلك اختلافٌ كثيرٌ قل فيه الضبط، وكاد الباطل يلتبس بالحق، فقيض الله لهذا القرآن من فطاحل العلماء المجتهدين من جمع الحروف والقراءات، وعزى الوجوه والروايات، وميز بين المشهور والشاذ، والصحيح والضعيف.

وكان أول من صنف في القراءات وجمعها في كتاب واحد:

= مخزوم، من سادات قريش، ولد في زمن النبي ﷺ، وروى عن أبيه وعمر وعثمان وعلي وأبي هريرة، وروى عنه أولاده أبو بكر، وعكرمة، والمغيرة، وهشام، وروى عنه أبو قلابة والشعبي. أحد كتاب المصحف في عهد عثمان بن عفان، توفي سنة ٤٣هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ١٥٦/٦.

الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام، في كتابه «القراءات»، ثم أحمد بن جبير[١] الكوفي، جمع في كتابه: «القراءات الخمس»، فأخذ من كل مصر قراءةً واحدةً، ثم جاء بعده إسماعيل بن إسحاق المالكي[٢] ـ صاحب قالون[٣] ـ جمع في كتابه «القراءات» قراءة عشرين إماماً، ثم جاء أبو بكر أحمد بن موسى العباسي المعروف بابن مجاهد[٤]، وهو أول من اقتصر على قراءة القراء السبعة.

وفي بلاد المغرب أحمد بن محمد[٥] الطلمنكي، ثم مكي بن

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن جبير الكوفي، من كبار القراء، أخذ القراءة عن والده، والكسائي. قال فيه أبو عمرو الداني: إمام جليل ثقة ضابط، توفي سنة ٢٥٨هـ.
انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/ ١٧٠.

(٢) هو القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي، صاحب قالون، ألف كتاباً في القراءات، جمع فيه قراءة عشرين إماماً، توفي سنة ٢٨٢هـ، وله ٨٨ سنة.
انظر ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ١/ ٣٤، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ١٧٨.

(٣) هو عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى مولى بني زهرة، ومقرئ أهل المدينة، كان ربيباً لنافع، وهو الذي لقبه (بقالون) وهي كلمة فارسية بمعنى: جيد، لقبه لجودة قراءته وحسنها، توفي سنة ٢٢٠هـ وعمره ٨٥ سنة.
انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/ ٢٨، وابن العماد: شذرات الذهب: ٢/ ٤٨.

(٤) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد، أخذ القراءة عن قالون، كان ثقة بصيراً بالقراءات وعللها، وهو أول من اقتصر في تأليفه على قراءة القراء السبعة. توفي سنة ٣٢٤هـ.
انظر ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ١/ ٣٤، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/ ٣٠٢.

(٥) هو أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الحافظ المقرئ، ولد سنة ٣٤٠هـ، أحد علماء القراءات حافظ للحديث وأحكام القرآن، وكان صاحب سنة، شديداً على أهل الأهواء والبدع، توفي سنة ٤٣٩هـ.
انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/ ٣٠٩، وابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٢٤٣.

أبي طالب[١]، ثم تتابع التأليف في القراءات السبع والعشر والأربع عشرة[٢].

هل مصحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ اقتصر فيه على حرف واحدٍ أو لا؟:

اختلف العلماء في هذا على قولين[٣]:

الأول: أن المصحف العثماني مشتمل على جميع الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وهو مذهب جماعة من الفقهاء والقراء، وقالوا: لقد أجمعت الصحابة على نقل ما أرسل به عثمان إلى الأمصار، وأجمعوا على ترك ما سواه، ولا يجوز أن ينهى عن القراءة بأحد الحروف السبعة، ولا أن يجمعوا على ترك شيءٍ من القراءات.

الثاني: أن مصحف عثمان ـ رضي الله عنه ـ بعد جمعه للقرآن ـ اقتصر على حرفٍ واحدٍ من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو ما كان في العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل، وقال به جماعةٌ من أهل الحديث وعلماء التفسير.

وهذا القول هو الصحيح؛ لما ثبت في الأحاديث والآثار

---

(١) هو مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، ولد سنة ٣٥٥هـ، كان عالماً بالتفسير والقراءات، له عدة مصنفات، منها: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، توفي سنة ٤٣٧هـ، وعمره ثنتان وثمانون سنة.
انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/٣١٦، وابن العماد: شذرات الذهب ٣/ ٢٦٠.

(٢) انظر: ص ٢٣ من مقدمة تحقيق كتاب تقريب النشر.

(٣) انظر ابن الجزري: النشر في القراءات العشر ١/ ٣١، بتصرف.

المشهورة المستفيضة التي دعت عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلى جمع القراءات في مصحفٍ واحدٍ، وحرق ما سواه. وقد أجمع الصحابة على هذا وهم معصومون عن الإجماع على ضلالة، وبدليل قول عثمان لكتاب المصاحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»، وقالوا: إن باقي الأحرف التي نزل بها القرآن؛ إنما كان في صدر الإسلام، أريد به التيسير على الأمة، ورفع الحرج والمشقة عنها في قراءة كتاب ربها؛ لأن الزام جميع القبائل بالتزام لغةٍ واحدةٍ في قراءة القرآن لم تتعودها ألسنتهم، ولم يألفوا التكلم بها في مخاطباتهم، إذ يوقعهم هذا في العنت والمشقة. فلما ذلت الألسن، ومرنت على لغة قريش ـ لغة القرآن الأولى ـ لم يكن ثمة حاجةٍ إلى الأحرف الستة الباقية؛ لا سيما وأنها كادت أن تكون سبباً في تفرق المسلمين، لولا توفيق الله للخليفة عثمان بن عفان بجمع المسلمين على مصحفٍ واحدٍ، وبحرفٍ واحدٍ. ورجح هذا القول الإمامان: ابن جرير، وابن كثير. يقول ابن جرير الطبري[1]: إن إمام المسلمين أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رحمة الله عليه ـ جمع المسلمين نظراً منه لهم، وإشفاقاً منه عليهم، ورأفةً منه بهم حذار الردة من بعضهم بعد الإسلام، والدخول في الكفر بعد الإيمان؛ إذ ظهر من بعضهم بمحضره وفي عصره التكذيب ببعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن مع سماع أصحاب رسول الله ﷺ من رسول الله ﷺ النهي عن التكذيب بشيء منها، وإخباره إياهم أن المراء فيها كفر، فحمله ـ رحمة الله عليه ـ إذ رأى ذلك ظاهراً بينهم في عصره، ولحداثة عهدهم بنزول القرآن، وفراق

(١) انظر: مقدمة تفسيره، تحقيق: شاكر ص ٦٣.
وانظر ابن كثير: فضائل القرآن ص٧٦.

رسول الله ﷺ إياههم بما أمن عليهم معه عظيم البلاء في الدين من تلاوة القرآن على حرفٍ واحدٍ، وجمعهم على مصحفٍ واحدٍ، وحرفٍ واحدٍ، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه، وعزم على كل من كان عنده مصحفٌ مخالفٌ للمصحف الذي جمعهم عليه أن يحرقه، فاستوسقت[1] له الأمة على ذلك بالطاعة، ورأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية، فتركت القراءة بالأحرف الستة التي عزم عليها إمامها العادل في تركها طاعةً منها له، ونظراً منها لأنفسها، ولمن بعدها من سائر أهل ملتها حتى درست من الأمة معرفتها، وتعفت آثارها، فلا سبيل لأحد ـ اليوم ـ إلى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها، وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها من غير جحودٍ منها صحتها وصحة شيء منها، ولكن نظراً منها لأنفسها، ولسائر أهل دينها، فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذي اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية. فإن قال بعض من ضعفت معرفته: وكيف جاز لهم ترك قراءة أقرأهموها رسول الله ﷺ، وأمرهم بقراءتها؟ قيل: إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض، وإنما كان أمر إباحةٍ ورخصةٍ لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم؛ لوجب أن يكون العلم بكل حرفٍ من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر، ويزيل الشك من قراءة الأمة، وفي تركهم نقل ذلك. أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد أن يكون في نقلة القرآن من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة. اهـ.

فتبين من هذا كله: أن جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ للمصحف اقتصر فيه على حرفٍ واحدٍ فقط من الأحرف السبعة، وهو ما كان في

(١) أي: انقادت واجتمعت.

العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل، وقد وافق الصحابة عثمان على فعله، فكان إجماعاً. وأَمْر الرسول ﷺ أمته بقراءة الأحرف السبعة، ليس أمر وجوب، وإنما هو للإباحة، بدليل قوله في حديث عمر السابق (. . . فاقرأوا ما تيسر منه)[١]. والقراءة بالأحرف السبعة كان في أول الإسلام.

حفظ الله لكتابه:

من المعلوم أن الله قد تكفل بحفظ كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[٢].

ومن حكمة الله في حفظ كتابه أن جعل وسيلة حفظه ونشره التلقي والمشافهة، وجعله ميسراً للفظ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾[٣]. وإذا كانت هذه ميزة للقرآن، فهي في نفس الوقت صفةٌ من صفات أمة محمد ﷺ يمتازون بها على غيرهم من الأمم.

وقد حفظ جماعةٌ من الصحابة وجوه القراءات عن رسول الله ﷺ كالخلفاء الراشدين، وابن مسعود، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وغيرهم كثير. ولما جمع[٤] عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ القراءات بمصحفٍ واحدٍ نسخ منه عدة نسخ وأرسل إلى كل من

---

(١) متفق عليه.
انظر: اللؤلؤ والمرجان ١/١٥٧.
(٢) الآية: ٩ من سورة الحجر.
(٣) الآية: ١٧ من سورة القمر.
(٤) انظر: النشر في القراءات العشر ١/٧، بتصرف.

مكة والبصرة والكوفة والشام مصحفاً، وأبقى بالمدينة مصحفاً، واتخذ لنفسه مصحفاً أطلق عليه «المصحف الإمام» وبعث إلى كل مدينةٍ من هذه المدن رجلاً من صحابة رسول الله ﷺ يقرئهم القرآن، ويعلمهم أحكامه؛ لا سيما وأن هذه المصاحف كتبت مجردةً من الشكل والنقط حتى تشمل ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ، واستقر في العرضة الأخيرة، فقرأه الصحابة وأقرأوه للتابعين، كما قرأوه عن رسول الله ﷺ على حرفٍ واحدٍ هو الذي اختاره عثمان، ووافقه الصحابة بالإجماع. وهكذا أخذ التابعون القراءة عن الصحابة في كل مصرٍ من الأمصار التي أرسلت إليها المصاحف، فقام هؤلاء التابعون مقام الصحابة يقرئون الناس القرآن كما أُقرئوه[١].

فكان (بالمدينة) سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وزيد بن أسلم، ومحمد بن شهاب الزهري.

وفي (مكة) عطاء بن أبي رباح، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة.

وبالكوفة.. علقمة[٢]، وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو زرعة، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعامر الشعبي.

---

(١) انظر: النشر في القراءات العشر ١/ ٨ مع الاختصار.

(٢) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن كهيل النخعي، الكوفي، ولد في حياة النبي ﷺ، وروى عن عمر، وعثمان، وعلي، وسعد، وحذيفة، وأبي الدرداء، وغيرهم كثير، وروى عنه: إبراهيم النخعي، وعامر، والشعبي، وسلمة بن كهيل. شهد علقمة بن قيس معركة صفين مع علي بن أبي طالب. وكان عقيماً لا يولد له، اختلف في وفاته، فقيل: مات سنة ٦٢هـ، وقيل: سنة ٧٢هـ.
انظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ٧/ ٢٧٧.

وبالبصرة.. عامر بن عبد القيس[١]، والحسن بن سيرين، وقتادة.

وبالشام.. المغيرة بن شهاب المخزومي[٢].

ثم هيأ الله لحفظ قراءات القرآن قوماً شغفوا بالرواية، واعتنوا بضبط القراءة أيما عناية حتى صاروا في ذلك أئمةً يقتدى بهم، ويشار إليهم، كنافع بن أبي نعيم «المدني»، وعبد الله بن كثير «المكي»، وعاصم بن أبي النجود «الكوفي»، وعبد الله بن أبي إسحاق «البصري»، وعبد الله بن عامر «الشامي».

ولما جاء عهد التدوين، هيأ الله لحفظ القرآن قوماً تتبعوا الروايات، فجمعوها وحفظوا القراءات، فأتقنوها، وألفوا حسب ما اتفق لهم في القراءت الخمس أو السبع أو العشر، والأربع عشرة. والله أعلم.

ما حكم اشتراط التواتر في القراءة؟:

ذهب جمهور العلماء إلى اشتراط التواتر في صحة القراءة، وأن ما جاء بطريق الآحاد لا يثبت به قرآن، ولا تجوز القراءة به.

---

(١) هو عامر بن عبد القيس بن ثابت بن أسامة التميمي العنبري أدرك الجاهلية، وشهد فتح المدائن، كان عابداً زاهداً، توفي في بيت المقدس في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

انظر ابن حجر: الإصابة ٣/ ٨٥.

(٢) هو المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة بن شهاب المخزومي أحد أئمة القرآن، قرأه على عثمان بن عفان، وقرأ عليه عبد الله بن عامر اليحصبي، توفي سنة ٩١هـ، وله تسع وتسعون سنة.

انظر الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/ ٤٣.

وذهب آخرون، منهم: ابن تيمية، وابن الجزري إلى عدم اشتراط التواتر في القراءة، واكتفوا بأن تكون صحيحة مشهورة، وقالوا: من المعلوم أنه إذا ثبت التواتر في القراءة وجب قبولها والقطع بقرآنيتها؛ سواء وافقت الرسم والعربية أم خالفتهما، وما ذكره الجمهور من وجوب التواتر، هو صحيحٌ لإثبات القرآنية؛ أما صحة القراءة فلا يلزم فيها التواتر؛ بل يكفي صحة السند، ولو اشترط التواتر[1] في كل قراءةٍ لانتفى كثيرٌ من القراءات الصحيحة؛ علماً بأن التواتر في القراءات هو أمر نسبي بين القراء، فيتواتر عند هذا ما لا يتواتر عند ذاك؛ ولهذا لم يكفر بعضهم بعضاً في إنكار ما ثبت عنده بالتواتر، ولم يثبت عند غيره. والله أعلم.

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٣.

ثمرة الخلاف
هل البسملة آيةٌ من القرآن؟

يظهر أثر الخلاف في اشتراط التواتر في القراءة في حكم البسملة في أوائل السور، هل هي قرآن أم لا؟.

فقد اتفق العلماء على وجوب إثباتها خطاً في المصحف في أوائل السور إلا سورة براءة؛ كما اتفقوا على أنها بعض آيةٍ من سورة النمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[1]. وإنما وقع الخلاف بينهم هل البسملة آيةٌ من القرآن أم لا؟ على قولين:

القول الأول: أنها ليست آيةً من القرآن، لا من الفاتحة، ولا غيرها، وهو قول المالكية، والحنفية، وبعض الحنابلة، وقالوا: إنما أنزلت للفصل بين السور، وأيضاً: أنها لم تتواتر بدليل وقوع الخلاف فيها، وما لم يتواتر، فكيف يسمى قرآناً، واستدلوا لمذهبهم، بأدلة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾[2]. وسبع المثاني: هي الفاتحة، وأول آياتها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

(١) الآية: ٣٠ من سورة النمل.

(٢) الآية: ٨٧ من سورة الحجر.

وسميت بالسبع المثاني؛ لأنها تثنى بالقراءة مرةً بعد أخرى، وقد أخرج البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: (الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني، وهي القرآن العظيم الذي أعطيته)[١]. وهذا نص على أنها السبع المثاني، وأن آياتها سبع، وأولها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وليست البسملة من آياتها.

٢ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: (يقول الله تعالى: قسمت الصلاة ـ أي: الفاتحة ـ بيني وبين عبدي نصفين، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، يقول الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: الرحمن الرحيم. يقول الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: مالك يوم الدين: يقول الله تعالى: مجدني عبدي، وإذا قال: إياك نعبد وإياك نستعين: يقول الله تعالى: هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل)[٢]. فالرسول ﷺ لم يذكر البسملة، فلو كانت آية من الفاتحة، لذكرها.

٣ ـ حديث عائشة: (أن النبي ﷺ كان يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين)[٣]. فلو كانت آيةً من الفاتحة، لقرأها، ولو قرأها؛ لنقلت عنه، فلما لم ينقل عنه ذلك بدليلٍ قطعيٍ؛ دل على أنها ليست بآيةٍ منها.

٤ ـ حديث أنس بن مالك، أنه قال: صليت خلف النبي ﷺ، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين، ولا يذكرون (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول قراءة، ولا

---

(١) فتح الباري ٨/ ٣٨١.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١٠١.

(٣) مختصر صحيح مسلم للمنذري ١/ ٧٨. وهو جزء من حديث طويل.

في آخرها[١].

القول الثاني: أن البسملة آيةٌ من الفاتحة، ومن كل سورةٍ سوى براءة، وهو مذهب الشافعي، وروايةٌ عن أحمد، وقول أبي حنيفة، وروى عن جماعةٍ من السلف، كابن عباس، وابن المبارك[٢]، وسفيان الثوري[٣]، واستدلوا بما يلي:

١ ـ إجماع الصحابة على إثباتها في المصحف؛ مع أنهم أمروا بتجريده مما ليس منه، كأسماء السور، وعدد الآيات، ولفظة (آمين) ونحوها، وإذا كانوا قد جردوا القرآن مما ليس منه ومع هذا أثبتوها؛ فهو دليلٌ على أنها آيةٌ من القرآن.

٢ ـ حديث أم سلمة: (أن النبي ﷺ قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) فعدها آية، والحمد لله رب العالمين (آيتين)، الرحمن الرحيم (ثلاث آيات)، مالك يوم الدين (أربع آيات)، وقال: هكذا: إياك نعبد، وإياك نستعين، وجمع خمس أصابعه)[٤]. أخرجه أحمد، وأبو داود، والحاكم في المستدرك.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٤/ ١١١.

(٢) هو أبو عبد الرحمن الحافظ الزاهد عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي، ولد سنة ١١٨هـ. قال عنه الإمام أحمد: لم يكن في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه، كان ثقة ثبتاً كثير الأسفار لطلب العلم، توفي سنة ١٨١هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحافظ ١/ ٢٧٤، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٢٩٥.

(٣) هو الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، لقبه يحيى بن معين بأمير المؤمنين في الحديث، ولد سنة ٩٧هـ، جمع ابن الجوزي مناقبه في مجلد، توفي سنة ١٦١هـ.
انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٣، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٢٥٠.

(٤) حديث ضعيف في سنده عمر بن هارون، قال فيه النسائي: متروك، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: أجمعوا على ضعفه. انظر: المستدرك على الصحيحين ١/ ٢٣٢.

٣ ـ حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا قرأتم (الحمد لله) فاقرأوا: بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها أم القرآن، وأم الكتاب، والسبع المثاني، و (بسم الله الرحمن الرحيم) إحدى آياتها)[١].

٤ ـ ما روي عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: «من ترك البسملة فقد ترك مائة وثلاث عشرة آية من القرآن»[٢].

٥ ـ حديث ابن عباس: «أن النبي ﷺ كان يفتتح الصلاة بـ (بسم الله الرحمن الرحيم»[٣].

٦ ـ حديث أنس ـ عند البخاري ـ سئل أنس: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: كانت مداً، ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد (بسم الله) ويمد (الرحمن)[٤] ويمد (الرحيم).

المناقشة والترجيح:

حديث أم سلمة لم يصح، ففي سنده عمر بن هارون البلخي، لا يحتج به، قال فيه ابن مهدي[٥]، وأحمد، والنسائي[٦]: «متروك

---

(١) رواه الدارقطني في سننه مرفوعاً وموقوفاً ١/ ٣١٢، والوقف أصح.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ بعد البحث والتحري، وهو من لازم حديث ابن عباس الذي يليه.

(٣) رواه الترمذي وقال: إسناده ليس بذاك ٢/ ١٤.

(٤) صحيح البخاري ٦/ ١١٢.

(٥) هو الحافظ الكبير أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان، ولد في سنة ١٣٥هـ، سمع من شعبة وسفيان وحدث عنه عبد الله بن المبارك وابن المديني، كان آية في الحفظ، قال القواريري: أملى علي ابن مهدي عشرين ألف حديث حفظاً، وقال الإمام أحمد: عبد الرحمن أكثر حديثاً من يحيى القطان. توفي سنة ١٩٨هـ. انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/ ٣٢٩، وابن العماد: شذرات الذهب ١/ ٣٥٥.

(٦) هو الحافظ أبو عبد الرحمن أحمد بن سعيد بن علي بن سنان النسائي، صاحب=

الحديث»، وقال فيه يحيى ابن معين: «كذاب خبيث»، وقال الدارقطني[١]: «ضعيف لا يحتج» به[٢]، مات ببلخ سنة ١٩٤هـ.

وحديث أبي هريرة مضطرب المتن، فمرةً يذكر فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) إحدى آياتها ـ أي: الفاتحة ـ، ومرة: الحمد لله رب العالمين سبع آيات إحداهن (بسم الله الرحمن الرحيم)، وروي مرةً مرفوعاً، ومرة موقوفاً على أبي هريرة، وهو أصح.

وقال الحافظ ابن حجر: «صحح غير واحد من الأئمة وقفه على رفعه وأعله ابن القطان بهذا التردد وتكلم فيه ابن الجوزي من أجل عبد الحميد بن جعفر فإن فيه مقالاً»[٣]. قلت: وفي إسناده عند البيهقي والدارقطني جعفر بن مكرم وفيه مقال[٤]:

وما روي عن ابن عباس؛ هو اجتهاد منه لا يقوى على معارضة النص، وكل ما يدل عليه قوله: «أن من لم يقرأ البسملة في كل سورة، فقد فاته أجر مائةٍ وثلاث عشرة آية»، وهذا صحيح.

وحديث أنس: أن النبي ﷺ كان يقرأ: (بسم الله الرحمن

= السنن الكبرى والصغرى، ولد سنة ٢١٥هـ، سمع إسحاق بن راهويه، ومحمد بن نصر المروزي، وأخذ عنه أبو بكر السني، وابن القاسم الطبراني، توفي بمكة سنة ٣٠٣هـ.

انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٢/٦٩٨، وابن العماد: شذرات الذهب ٢/٢٣٩.

(١) هو الحافظ أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد الدارقطني ـ نسبة إلى دارقطن ـ محلة ببغداد، ولد سنة ٣٠٦هـ، صاحب السنن، له معرفة بعلل الحديث ورجاله، كما أن له علم بالقراءات، أخذ القراءة عن ابن مجاهد، توفي سنة ٣٨٥هـ.

انظر الذهبي: تذكرة الحفاظ ٣/٩٩١، وابن العماد: شذرات الذهب ٣/١١٦.

(٢) انظر: التعليق المغني على الدارقطني ١/٣٠٧.

(٣) انظر تلخيص الحبير ١/٢٣٣.

(٤) انظره في الجرح والتعديل ٢/٤٩١.

الرحيم) ويمدها، لا يلزم من قراءة النبي ﷺ البسملة والمد فيها أن يكون قرأها في أول الفاتحة، والحديث ورد سياقه كمثال، ولم يرد به التعيين.

ومجمل أدلة القول الأول ـ فيما تدل عليه ـ هو افتتاح القراءة بالحمد لله رب العالمين في الصلاة الجهرية؛ أما البسملة فيسر بها، وليس في أدلتهم ما يدل على أنها آيةٌ من القرآن عامةً أو الفاتحة خاصةً، ويحتمل ـ أيضاً ـ أن المراد بافتتاح الصلاة بالحمد لله هو افتتاحها بسورة (الحمد) التي هي الفاتحة.

والراجح ـ والله أعلم ـ أن البسملة ليست آيةً من الفاتحة، ولا غيرها؛ وإنما كان يؤتى بها للفصل بين السور، وقد نقلت نقلاً متواتراً في أول كل سورة، عدا (براءة)؛ بدليل حديث أنس عند مسلم أن النبي ﷺ قال: (أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾)[1].

وقد أجمع العلماء على أن آيات هذه السورة هي ثلاث آياتٍ فقط، ولو حسبت معها البسملة لكانت أربعاً، وفي الحديث الآخر: (إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له هي: تبارك الذي بيده الملك) أخرجه أبو داود في سننه: انظر مع عون المعبود ٤/ ٢٧٧. والحاكم في المستدرك. ووافقه الذهبي ١/ ٥٦٥، ٢/ ٤٩٧. فتعين أن البسملة ليست آيةً من هذه السورة، ولم يأتنا دليلٌ قطعيٌ على أنها آيةٌ في غيرها من السور، ولهذا ساغ فيها الاجتهاد[2]، ووقع، ولم يكفر أو

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ١١٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٤١٨.

يفسق أحدٌ من الأئمة من خالفه في إثبات البسملة أو نفيها، وإنما خطأه فقط. والله أعلم.